# إثنتا عشرة لوحة لأطفال كوردستان

# جولة في معرض الشاعر الفنان (( عبدالله پەشێو ))

• بلال عزيز

من يتتبع حياة شاعرنا الفنان (عبدالله پەشێو) منذ ولادته في قريته الصغيرة (بيركوت) التي غدت الآن ضاحية من ضواحي مدينة (اربيل)، يدرك جيداً إن ما عاناه من ظلم وقهر وحرمان منذ طفولته جراء الصراع الذي كانت تفرزه عملية استغلال مُلاك الأراضي الكبار المتسلطين من الأغوات لمجموعة كبيرة جداً من الفلاحين المعدَمين والأستحواذ على ما ينتجونه فيما عدا النزر اليسير الذي يترك لهم لسد رمقهم ودرء الموت عنهم جوعاً، أجل إن الحالة المزرية لهؤلاء المعدمين قد انعكست بصورة جلية واضحة على نتاجاته الشعرية وكتاباته في هذا المضمار.

شبّ شاعرنا وترعرع وسط هذه البيئة التي تجمع بين المستغلّين من الأغوات المتنفذين الذين كان نظام الحكم وبمقتضى تحالف طبقي لا شريف عضيداً وسنداً وظهيراً لهم والذين كانوا يملكون كل شئ وما تشتهيه انفسهم وبين المُستغلين من الفلاحين الكادحين الذين كانوا يكدّون ويعملون اناء الليل واطراف النهار ولا يملكون شيئاً سوى اغلالهم !!؟.

منذ نضوج شاعرنا ونشأته في خضم هذا الصراع الطبقي كان الطفل الكوردي المحروم محط أنظاره وملهم كثير من قصائده الثورية وينبوعاً فيّاضاً يمد طاقاته الشعرية الكامنة وأحاسيسه الانسانية بمزيد من القوة والتفوق والأبداع قلّ من الشعراء مَنْ نافسه في هذا المجال وندر من ارتقى إلى مستواه في قصائده المؤثرة التي تُغلّفُها (الأستاتيكية) والقيمة الجمالية الحيّة بالمنظور الفني، لاسيما هذا الابداع الذي يشع في مجموعته الشعرية الرائعة الموسومة بـ(إثنا عشر درساً للأطفال) والتي نحن الآن في معرض تحليلها وسبر اغوارها بعد ترجمتها من قبلنا قبل مدة ليست بوجيزة من اللغة الكوردية إلى اللغة العربية حتى يتسنى للقارئ العربي بالدرجة الاولى أن يكون على بيّنة بهذه الرائعة من روائع شاعرنا (عبدالله پەشێو) الذي يمّم وجهه صوب ديار الغربة هرباً من الأنظمة المستبدة ومنذ مدة طويلة تقرب من ثلاثين عاماً.

ففي الدرس الأول منها يخاطب(پەشێو) الأطفال ويحذرهم من الانجراف وراء الكلمات المعسولة للبعض من الذين يتحدثون وبعُنجهيّة فارغة عن نضال الشعب الكوردي لكنهم في الوقت ذاته يضمرون غير ما يظهرون ويتفوّهون بغير ما يُبطنون، ويُبيّتون للكورد شراً من خلال هذه الكلمات المسكرة ومن خلال هذه البراقع التي يُلبسونها لقصائد بعض الشعراء المتخاذلين من أمثالهم ممن يتغنّون بكفاح الكورد وبأستماتتهم في سبيل حركة تحرير الشعب الكوردي (كوردايەتی)[1].. ومن خلال درسه الأول هذا ينصح (پەشێو) هؤلاء الأطفال ويوضح لهم الوضع بصراحة مشيراً الى المخاطر المحدقة بحركة التحرر القومي للشعب الكوردي وبأنها في منعطف خطر وتقف في مفترق طرق كثيرة متشعبة وذات مسالك وعرة شديدة يتعذر إجتيازها فلا الكلمات الرنّانة تنفع ولا الخطب الدونكيشوتية بأستطاعتها



مجلة (الثقافة الكوردستانية) العدد 5 / 2001

معالجة هذه الجروح المستعصية على الالتئام، لأن ذاكرتنا التأريخية قد أصابها الفقدان فلا نستطيع أن نتذكر ماضيّنا فنستخلص منه العبر والدروس كما ويتعذر علينا تبعاً لذلك دراسة حاضرنا والمرحلة التي نجتازها الآن في خضم التفاعلات التأريخية التي يعيشها مجتمعنا الكوردستاني والمستهدفة دوماً عن طريق المؤامرات والمكائد التي تحاك دولياً ضدها. والحالة هذه فأن الشعب الكوردي لم يتيسّر له أن يكتب تأريخه بنفسه حتى يمتلك الماضي ويعبر عليه الى الحاضر الذي يعيشه بكل متناقضاته فيمتلكه أيضاً، وعند ذلك يكون المستقبل داخل إطار إرادته التأريخية، فيرسم من هذا المنطلق طريق النصر، طريق التحرر والأنعتاق .. فاسمعه أيهاالقارئ العزيز:

(الدرس الأول)

أيها الأطفال
أيها المشرّدون التعساء،
غداً عندما تترعرعون وتشبّون،
وتبلغون مرحلة النضوج،
ربما تلتقط آذانكم مما تسمعون،
قصصاً منّمقة وكثيراً،
من مقامات «اللاوكا» و «الحيران»[٣].
ونتفاً من قصائد شاعر جبان !!
تتحدث عنا وعن شجاعتنا،
تتحدث عنا وعن روح النضال،
والتحرر فينا «كوردايةتى».
لكن حذار أن تصدقوا شيئاً منها،
لأن جميعها أكاذيب مفضوحة .. !!؟
أيها الأطفال ..
نحن على مفترق مئات من الطرق،
المجهولة ذات المسالك الوعرة الطويلة،
نسير فيها تائهين خبط عشواء،
لأن مصباح ذاكرتنا ليس فيه،
سوى بصيص من ضياء .. !!؟

* * *

ومن خلال إلقائه لدرسه الثاني يحاول الشاعر أن يشرح للأطفال بكل هدوء وثقة ويستذكر معهم ما ورد في درسه السابق فيخاطبهم بأعلى صوته انه حينما صرخ بأننا منذ أن وجدنا على أرضنا، وعشنا عليها منذ آلاف السنين لم يتسن لنا أن نمتلك في أية مرحلة من مراحل تأريخنا الطويل المليء بالصراع والكفاح ضد المحتلين الغزاة فلسفة تنير لنا درب التحرر والنجاة، لأن هؤلاء المحتلين لم يتركوا لنا ما يهيء أذهاننا ويوقظ فينا الإرادة التي بها نستذكر ماضينا ونكتب بها تأريخنا .. يستمر (پەشێو) في مخاطبة الأطفال خلال إلقائه

لدرسه الثاني ويقول إن ما قاله لهم وصرح به كان وبالاً عليه وغدا طامّة كبرى له، فانقلبت الدنيا وزحف على فكره وذاكرته ضباب أسود كالح أرخى على فؤاده حجاباً ثقيلاً .. اسمعه في هذا الدرس وإلى نفثات قلبه المتألم..

(الدرس الثاني)

أيها الأطفال ..
لقد شرحت لكم أمس في دروسي وقلت:
نحن منذ خلقنا على هذه الأرض،
لا نملك في أي مرحلة من حياتنا،
ولا توجد بين سطور كتاباتنا،
أية فلسفة لنا .. ؟!
قلتُ ذلك فأنقلبت الدنيا،
وحدثت الطامة الكبرى،
وزحف السحاب الأسود الثقيل،
على فكري وذاكرتي ..!!؟

* * *

وفي درسه الثالث هذا وبعد أن شرح لهم وأحاطهم علماً بموقف هؤلاء الأدعياء للقومية والتحرر القومي (كوردايەتى) والمتشدقين بالتضحيات والبطولات والذين ملأوا الدنيا صراخا بنكران الذات والمدعين بكونهم حملوا أرواحهم على أكفهم ولما يزالوا يضحون في سبيل تحرير هذا الشعب.. هنا يخاطب (پەشيّو) الأطفال وبكل جراة وصراحة ويستحلفهم بالله لأن يسألوا هؤلاء الأدعياء المتشدقين الذين يدعون بما لم يفعلوه أبداً والغافلين عما يجري حولهم والذين لا يرون ابعد من انوفهم، أجل يطلب (پەشيّو) من الأطفال الكورد بألا يخافوا ولا يصيبهم الفزع في هذا الموقف منهم وأن يبادروهم بالسؤال عما حققوا لهم وما جلبوا من اجلهم بعد عودتهم من سفرتهم إلى ((جزيرة الدماء ..!!)) غانمين مُتخمين..؟؟

(الدرس الثالث)

أيها الأطفال ..
أستحلفكم بالله،
أن تسألوهم ..
أن تسألوا الذين،
لا يرون ابعد من انوفهم!!
أسألوهم فلا تخافوا منهم،
وقولوا لهم:
ماذا جلبتم للأطفال،
في سفرتكم إلى الجزيرة الدماء!!،
أجل ماذا جلبتم .. ؟؟!!

* * *

(پەشێو) في الدروس الثلاثة الماضية التي القاها على اطفال كوردستان شرح لهم (پانوراما) الأحداث وأوضاع الأطفال خلال هذه الصراعات الدائرة وأوضح لهم حقيقة هؤلاء المدعين الأغبياء بما يملكونه وما لا يملكونه وبما يحملونه وما لا يحملونه من إخلاص وإقتدار على الساحة السياسية الكوردستانية وعلى طول مسيرة النضال التحرري القومي.. وبعدئذٍ لم يرَ بُدّاً من أن يضع أمام الأطفال في هذا الدرس الجديد الرابع مختلف أساليب النضال ويبين لهم طرق التمرس فيه ومراحله ودرجاته منذ صغرهم وحتى يترعرعوا ويشبوا عن الطوق ويبلغوا الرجولة.

ومن خلال إلقاء درسه هذا يضرب لهم فيه أمثالاً متفاوتة تعبر عن نوعية الروح النضالية في الانسان ودرجته، فهي بين (زراعة حبة حنطة) التي تنتج سنبلة وبين (زراعة قطرة دم) التي يرسم بها المناضل لوحة جميلة رائعة وبين من تقاعس وإنزوى، حتى إذا رفع عقيرته وصرخ فقط دون أن يتجاوز حدود نفسه فأنه لا يسمع سوى صدى صراخه وإن كان عملاً نضالياً لكنه لا يرقى إلى مستوى النضال العقائدي الفعّال.

ففي معرض هذا الدرس يذكر (پەشێو) اطفال كوردستان بأن ما يزرعه الشعب الكوردي من جماجم وعيون منذ القدم وينزل عليها من دمائه أمطاراً لم يحصد رغم ذلك شيئاً لحد الآن لأن موسم الحصاد غير معلوم لديه ولا يزال مجهولاً.. لذلك فأن الشاعر يضع في متناول أيدي الأطفال مبدأ ثورياً صارماً ويحثهم على أن يبادروا ويشمروا عن سواعدهم لأجل تغيير هذه الأرض التي تُزرع فيها الجماجم والعيون عند ذلك فهو يعدهم وعداً قاطعاً بأنه سوف يدلهم إلى مزرعة النور وسوف يبين لهم موسم الحصاد، فيحصدون ما زرعه الأولون ويقطفون ثمار ما سقوهُ بالدماء الغالية..

**( الدرس الرابع )**

**أيها الأطفال ..**
**إن من زرع حبة حنطة،**
**فقد حصد سنبلة ..**
**ومن زرع قطرة دم،**
**فقد رسم لوحة جميلة ..**
**ومن رفع عقيرته وصرخ فقط،**
**لم يسمع غير صدى صراخه ..؟!**
**غير أننا نحن الآن،**
**نزرع الجماجم والعيون،**
**وننزّل عليها دماءنا أمطاراً،**
**لكن موسم الحصاد لدينا،**
**لم يزل مجهولاً !!؟**
**وحتى الآن لم نحصد ابداً،**
**سنبلة قمح مما زرعناه ..!!؟**

أيها الأطفال ..
إذن تعالوا فلنغيّر هذه المجرى،
التي تسيل فيها دماؤنا القانية ..
ولنغيّر هذه الأرض التي،
تأكل العيون والجماجم !!
عندها أدلكم على مزرعة النور،
عندها أبيّن لكم موسم الحصاد ..؟؟!

* * *

حين يزج (پەشێو) بنفسه في معمعة النضال الطبقي ويستوي فيه شامخاً، شاخصاً بنظراته المدركة القوية إلى الأحداث التي تكتنف هذا النضال الدامي، يتفطر فؤاده المكلوم ويتقطر دماً على مصير هؤلاء العمال البائسين الذين لا يملكون في الحياة سوى أغلالهم التي كبّلتهم فيتألم لأجلهم ويتعذب لمصيرهم عندما يلتفت يمنة ويسرة فلا يجد من يدافع عنهم بإخلاص وتفانٍ ولا من يظللهم تحت جناحيه وينير لهم درب النضال ضد الإستغلال والقهر والجور ويقودهم صوب حياة حرة مرفهة كريمة لا خوف يذلّهم ولا الإرهاب..

فهو في درسه هذا يوضح للأطفال بعض الوقائع المثيرة للسخرية والأشمئزاز تتوسم بها حياة هذه الطبقة الكادحة المظلومة الرازحة تحت نير الأستعمار والأستغلال .. فيوجه كلامه للأطفال وبسخرية لاذعة ويقول: بأننا كثيراً ما كتبنا وبإستمرار عنها حيث توّجهتها الجباه الصُفر للصحف اليومية تارة وعلى طول أنابيب النفط الذي هو مصدر حياتنا المرفهة إن غدا ملكاً لنا، وعلى جدران المرافق الصحية والمحلات العامة تارة أخرى بما تنوف على عشرة ملايين مرة جملة (يحيا العامل) فنتغنّى بصفاته وخصائصه وبالجهد الذي يبذله والعرق الذي يريقه والطاقة البشرية التي تستنزف منه من قبل المستغلين، أجل كتبنا عن نضاله والأغلال التي تكبّله والمستقبل السعيد الوضّاء الذي ينتظره .. ولكن ويقولها الشاعر بأسف ومرارة إن كل هذه الكتابات لم تتحول في يوم من الأيام ولو لمرة واحدة إلى لقمة خبز تُشبع هذا العامل؟

فأنظر أيها القارئ العزيز إلى هذه اللوحة التي هي صغيرة في المبنى ولكنها عظيمة في المعنى وقد رسمها هذا الشاعر الفنان بريشته البارعة وهي تعكس معاناة العامل المظلوم الذي لا يملك في دنياه سوى القيود التي تكبّله، لذا فإن نضال الطبقة العاملة عندما تتسم بالثورية والتضحية والفداء لأنها لا تخشى الخسارة والموت فهي إن خسرت فلا تخسر غير قيودها وأغلالها !؟

( الدرس الخامس )

أيها الأطفال ..
على الجباه الصفر للصحف اليومية،
وعلى طول أنابيب النفط،
وعلى جدران (المرافق الصحية)،

في كل مكان ..
كتبنا عشرة ملايين مرة،
فليحيا العامل، فليحيا العامل
ولكن هذه الكتابات جميعها،
لم تستطع ولو لمرة واحدة،
أن تتحول إلى،
لقمة خبز تُشبع بطن عامل ..؟؟!

*  *  *

اما في الدرس السادس هذا الذي سوف ندونه لكم في خاتمة هذه الفقرة فأن (پەشێو) وبأسلوبه الفذ الصريح وفي لوحة رائعة مثيرة جداً، يُعَرّي الموقف العنصري الشوفيني المكشوف لواحدة من القوميات التي يشاركها الكورد قسراً جرّاء تقسيم وطنهم القومي كوردستان بين هذه القوميات المتسلطة ؟!!.

فيحث في درسه هؤلاء الأطفال الكوردستانيين لكي يستمعوا الى حكايته جيداً ويصغوا بانتباه إلى الأحداث المثيرة التي وردت في هذه الحكاية فيقول:

لقد عقدت العزم في يوم من الأيام لأن أزور خطيبتي في مدينة (دياربكر) لأن الشوق إليها قد استبدّ بيَ وهاج حنيني للقائها ولحضور حفلة زفافها لي، فحملت لها معي من الهدايا مكحلةً وكيساً من الحناء وفي فمي إبتساماتٍ عذبة وملأ قلبي احلاماً وردية زاهية، هذه هي كانت جواز سفري لأعبر الحدود وتتملّى عيناي بها حباً وهياماً، فقطعْت سلاسل الجبال سلسلة سلسلة وأحصيت ساعات سفري دقيقةً دقيقةً ولكني عندما قرعت بوابة الحدود كنت انتظر من حبيبتي ان تستقبلني بقبلة حارة، ولكن ذلك لم يتحقق وبدلاً عن هذه القبلة فقد رماني أحد حراس الحدود ببصقة صفراء مقذعة نتنة صبغت وجهي وجميع ملامحي؟!

فتمعن أيها القارئ العزيز في هذه اللوحة التراجيدية وإن كُنتَ كورديا فأعرف نفسك جيداً وتعلم ما هو الواجب التأريخي الذي عليك تأديته في هذه المرحلة الدقيقة ؟!

( الدرس السادس )

أيها الأطفال ..
خطيبتي حمامة من «دياربكر» ..
هي تعشق الجبال،
وتهوى لون الثلج وغناء القبج[٣١]
فبعد أن هاج شوقي إليها،
عقدت العزم على السفر،
لأحضر حفلة زفافها لي ..
قطعت سلاسل الجبال،
سلسلة بعد سلسلة،
ومزقت «الروزنامة»،

ورقة بعد ورقة
لقد كان جواز سفري،
إبتساماتٍ وأحلاماً وردية،
ومكحلة وكيساً من الحناء
لكنني عندما قرعت بوابة الحدود،
فبدلاً عن قبلة حارة من حبيبتي،
غطت ثنايا جبيني بصقة صفراء،
رماني بها ذو حذاء أسود ثقيل .. ؟؟! ..

*  *  *

أطفال كوردستان عند (پەشێو) هم رجال الغد واسود المستقبل الذين على ايديهم سوف يتحقق هدم اسوار الحدود والحواجز العائقة التي تجزئ الامة الكوردية على ارضها، وتحول دون توحدها في كيان سياسي يخدم تطلعاتها للمستقبل، ويضمن حقوقها التأريخية المشروعة.. فعلى ايدي هؤلاء الاطفال سوف تنفجر ينابيع الحياة، وتسيل الدماء الجديدة في شرايين الامة، وبقوتهم وطاقاتهم اللامتناهية سوف تلتحم حلقات السلسلة المقطوعة للتأريخ الكوردي حيث ينتصب الشعب عندئذ شامخاً منتصراً على ارض وطنه كوردستان كبقية الامم الاخرى على سطح الكرة الارضية.

لذا فهو يشرح لهم هذه الحقيقة ويزيح الستار عنها حتى يهيئوا انفسهم منذ الآن لهذه المهمة التأريخية المليئة بالآلام والتضحيات الجسام..

( الدرس السابع )

أيها الاطفال..
انتم وبحركة من اصابعكم،
تخبطون مياه البحار والاهوار..!!
انتم ذلك الزلزال الذي،
سوف يفجر الينابيع!؟..
انتم الذين تحطمون غداً!
الحدود المصطنعة..؟!
انتم وعلى ايديكم سوف تلتحم،
حلقات تلك السلسلة المقطوعة..؟؟!

*  *  *

وفي الدرس الثامن يرسم (پەشێو) لوحة اخرى رائعة بريشته الفسيفسائية الخلابة، حينما تراوده فكرة ان يربط بين طفل كوردي جميل ذي عينين نجلاوين يموت جوعاً ويوارى الثرى في لحد صغير تحت اقدام شلالات (باباگورگور) الذهبية وفي احضان الثروة النفطية الهائلة من النفط المتدفق من الارض الكوردستانية في مدينة الذهب الاسود (كركوك) التي تعاني الآن من عملية التعريب الشوفينية وتغيير الهوية القومية الكوردية لسكانها والتي وصفها (البارزاني الخالد) في يوم من الايام وبحق انها (قلب كوردستان النابض).. وان ما يرمي اليه الشاعر

ويقصده في هذه اللوحة التراجيدية هو ان النفط للكورد اصبح سبباً للاستغلال والتسلط وفقر مُدقع قاتل فهو (نقمة) لهم، وللغير مصدر ثراء ورفاهية ومنبع بحبوحة وحياة سعيدة فهو اذن (نعمة) لهم..

دقق ملياً ايها القارئ العزيز واحكم بنظرة تحليلية عميقة في هذه اللوحة التعبيرية المأساوية حتى تصل الى عمق المأساة فيها مقارنة بالتاريخ الكوردي المعاصر..؟!

(الدرس الثامن)

ايها الاطفال..
ايها الجياع البؤساء،
ايها المشردون التعساء..
على صدر (اباباكورگور)،
المتوج بالذهب الاسود،
وبقرب الشلال الذهبي،
ذي الشعلة الذهبية المتوهجة،
رايت قبراً صغيراً كتب عليه:
ها هنا مات جوعاً،
طفل كوردي جميل،
ذو عينين مشعتين نجلاوين..؟؟!!

ففي الدرس التاسع الذي يلقيه الشاعر على الاطفال تتجلى الماساة الكبرى بعمقها التراجيدي في التاريخ الكوردي المعاصر وباوضح صورها الحية حيث ينهض السؤال المحير فيما اذا كان الكورد هم الذين ظلموا تاريخهم ام انهم ضحية تاريخهم الشائك المعقد، وفيما اذا كانوا هم الذين كتبوا هذا التاريخ بانفسهم ام ان اعداءهم والحاقدين والمتربصين بهم هم الذين كتبوه بمقتضى ما تمليه مصالحهم وبالشكل الذي يخدم اهواءهم ومقاصدهم الدنيئة.. فهو في هذا الدرس الهام يؤطر هذه الحقائق في لوحة ماساوية قل مثيلها في الجراة والتعبير الصريح الذي لا تشوبه المغالاة ولا تشوهه المغالطات والمبررات التاريخية الواهية لأمة عاشت على ارضها (كوردستان) وتمسكت بها ما يقرب من خمسة الآف سنة وبتعداد سكانها التي تبلغ في مطلع القرن الواحد والعشرين خمسة وثلاثون مليوناً على اقل تقدير، غير انها وللأسف الذي يدمي القلوب لم تزل غير متمتعة بكيان سياسي موحد..

فأسمعه ايها القارئ العزيز كيف يروي للاطفال هذه الحقيقة القاسية المريرة من خلال حلم له في احدى الليالي عندما تراوده رغبته لأن يزور مقر الامم المتحدة حيث يستبد به الانبهار والعجب عندما يرى بأم عينيه امم الارض جميعاً سودها وبيضها ضعفاءها واقوياءها وقد نصبوا في باحة مقر الامم اعلامهم فيما عدا الكورد فلم يجد الشاعر لهم علماً مرفوعاً بين هذه الاعلام.. فأنظر اليه كيف صورت ريشته اروع تصوير هذا المشهد التراجيدي، فقد اصاب كبد الحقيقة حينما اقترب منهم يستطلع الامر عندما نهروه وصرخوا بوجهه طالبين منه الخروج فوراً لانه لا علم له ولا وطن متمتعاً بكيان سياسي يجمعه ويحميه.. وما نسمعه منه بعد ذلك من هذا المشهد الحزين، حينما يتوسل اليهم الايصرخوا فيه وانه عند عودته

سوف يروي هذه القصة المؤلمة لأطفال كوردستان كي يتعلموا منها ويستمدوا الدروس والعبر من فحواها المأساوي، ويكونوا كذلك على علم بهذه الحقيقة القاسية، ويكون عليهم عهداً وموثقاً ان يناضلوا حين يبلغون الكبر في سبيل هذا الحق الضائع وان يستميتوا من اجل تحقيق الاهداف المشروعة لهذه الامة المنكوبة ويبذلوا النفس والنفيس على هذا الطريق الشائك ..

اليك ايها القارئ العزيز هذه اللوحة التراجيدية التي ابدعت ريشة (پەشێو) في رسمها وابراز معالمها الانسانية الحية لامة مقهورة حكمت عليها الظروف الدولية والاقليمية بهذا المصير الماساوي.. فكن على بيّنة بمدى واقعيتها المعبرة الصادقة التي تحملها في طيات الوانها..؟

(الدرس التاسع)

ايها الاطفال..
لقد حلمت ذات ليلة،
كأني عابر سبيل،
اسير على غير هدى..
فراودتني رغبة جامحة،
ان اتوجه الى مقر هيئة الامم..
فعندما بلغت اليه،
ابتلعتني بوابته ودخلت..
فرأيت السود وقد نصبوا اعلامهم،
ورايت البيض وقد رفعوا اعلامهم،
وكل من رأيته كان يحمل علماً!!
عندئذ صرخوا بوجهي:
اخرج يا من لا علم له،
اخرج يا من لا وطن له!!
فقلت لهم لا تصرخوا فأنني،
عند عودتي سوف اروي،
لاطفال كوردستان هذه الحكاية..؟؟!!

* * *

ففي يوم قارس البرد من الايام الصعبة التي عاشها الشعب الكوردي في كوردستان العراق، يشمر (پەشێو) عن ساعديه ويعقد العزم لزيارة معاقل الـ(پێشمەرگە) الابطال في جبال كوردستان فيشد الرحال اليها ويزورها معقلاً بعد معقل، وفي احد هذه المعاقل سمع كثيراً عن تضحيات الـ(پێشمەرگە) وبطولاتهم وصمودهم وعمق ايمانهم بعدالة قضيتهم واستمع الى اسماء الالوف المؤلفة الذين استشهدوا في ساحة الشرف دفاعاً عن ارض كوردستان وفي سبيل قدسية المبادئ، وكذلك سمع كثيراً من عبارات المدح والثناء لهم ولمعنوياتهم الفولاذية وغيرها من النعوت الكثيرة التي تُكال في مثل هذه المواقف..

لكنه وفي معرض شرحه هذا الدرس يذكر للاطفال المنصتين بشغف الى هذه الحكاية، انه

عند انتهائه من صلاة يوم الجمعة وخروجه من باب المسجد شاهد كثيراً من هؤلاء المناضلين وقد اصابتهم العمى او ابتلوا بداء الكساح وكثيرين من المعوقين وقد افترشوا الارض ينتظرون الصدقات من المصلين الخارجين من المسجد!!؟..

بهذه الروح التهكمية اللاذعة يصور هذا الموقف الدراماتيكي للاطفال وهم قابعون يتنصتون الى كلماته المؤثرة الملتهبة..

(الدرس العاشر)

ايها الأطفال..
ايها الجياع البؤساء..
فلقد زرت يوماً،
معاقل الاپێشمەرگە) في الجبال،
معقلاً بعد آخر،
فأستمعت الى مجموعة من الاقوال،
ففي معقل سمعتهم يتحدثون،
عن شهداء الاپێشمەرگە)!؟
وكان اليوم يوم جمعة،
والوقت كان ظهراً
ثم تركتهم ودخلت المسجد،
كي اصلي صلاة الظهر،
والجو كان بارداً جداً،
لذا فقد انتهت الصلاة سريعة..
وعند خروجي من باب المسجد،
احصيت جميع القابعين امام الباب،
كثيرين من عميان وكسحاء ومعوقين..؟!؟

* * *

في الدرس الحادي عشر وهو مقبل على خاتمة دروسه الأثنى عشر يبدي رغبته للأطفال في صياغة رسم خارطة كوردستان من جديد، لذا يطلب منهم ان يتهيأوا في احدى ليالي عيد (نوروز) ويبداوا بجمع كل الخرائط التي رسمها الاعداء لكوردستان حسب اهوائهم ووفق رغباتهم وما تمليه عليهم مصالحهم الدولية والاقليمية التي ترمي الى ابقاء الامة الكوردية مجزأة متشرذمة على ارضها ويشير اليهم ان يحرقوا كل هذه الخرائط فيما عدا الكلمة الاخيرة من الخارطة الاخيرة ويطلب منهم ان ياتوها بها لكي يرسمها ويصوغها في لوحة تحتوي على مزرعة خضراء يانعة وقد كتبت عليها كلمة (كوردستان)..

(پەشێو) من خلال هذا الدرس يبث في اطفال كوردستان حزنه العميق ولكنه في الوقت نفسه يزرع فيهم روح التمسك بارض كوردستان ويطالبهم عدم التفريط باي شبر من ترابها وبأي بقعة من سمائها وباي قطرة من مائها، ويعلمهم اساليب النضال الدؤوب في سبيل الحفاظ على قدسية هذه الارض التي هي امانة تاريخية في اعناق الجميع رجالاً ونساء شيباً

وشباناً وقطع ايدي الاعداء الطامعين المتربصين بها والذين يجهدون ومنذ القديم طمسها والغاءها وتبديل هويتها القومية ومن ثم اخراجها من ذاكرة التاريخ.

اجل يحثهم لأجل الاستماتة في هذا الطريق المقدس والقضاء على كيد الاعداء الطامعين المقترفين لهذه الجريمة البشعة النكراء..

**الدرس الحادي عشر**

**ايها الاطفال..**
**أنا اطلب منكم وفي ليلة،**
**من ليالي عيدكم انوروز!..**
**أن تجمعوا لي وبعمل سريع،**
**كل الخرائط الموجودة في العالم،**
**والتي رسمها الأعداء..!؟**
**أنا أطلب منكم أنا المكلوم الفؤاد،**
**أن تهيئوا لهذا الغرض بحراً من النفط،**
**ومقدار قلعة من الحطب..؟!**
**ولكنني أطلب منكم وأتوسل إليكم،**
**ألا تحرقوا الحرف الأخير،**
**من الخارطة الاخيرة..؟؟!**
**ثم فأتوني بهذه الخارطة حتى،**
**أخططها وأصوغها من جديد،**
**فتحتوي على:**
**مزرعة خضراء يانعة نضرة،**
**كتب عليها وبخط أحمر قاني كلمة:**
**(كوردستان)**

* * *

عقب الانتهاء من القاء درسه الحادي عشر على اطفال كوردستان حيث صور لهم في لوحة تحمل هموم تاريخ الامة الكوردية برمته وبكامل تفاصيله المأساوية، ومن تلافيف زخرفة هذه اللوحة تظهر بوضوح حقائق المرحلة التأريخية الراهنة التي تمر بها هذه الامة على ارضها المجزأة. والمكائد الخبيثة التي تحاك في الخفاء والعلن ضد وجودها من قبل الدول الطامعة فيها والتي تسيل الكنوز المدفونة في ارضها لعابها، لا سيما الدول الاقليمية صاحبة الشأن والتي هي صديقة لها في العلن وعدوة لدودة لها في الخفاء تقف دوماً بوجه وحدتها بجميع ما تملكها من اساليب قهرية شيطانية ماكرة بدءً باقتطاع ارضها رويداً رويداً وضمها اليها وانتهاءً بتبديل هويتها القومية!؟؟..

(پەشێو) في جميع دروسه هذه والتي يلقيها على اطفال كوردستان يتحرك من منطلق كون هؤلاء الاطفال هم رجال المستقبل الذين سوف يقع عبء هذه المهمة التأريخية على كواهلهم، فهو يرى فيهم اذا ما تم تدريبهم وتثقيفهم وتغذيتهم بالروح الثورية وبمبادئ حركة التحرر

القومي للشعب الكوردي فهم سيشكلون ومنذ طفولتهم حجر الزاوية لهذه المهمة المقدسة..

فالشاعر يعلم علم اليقين بانهم مستهدفون من قبل اعداء الكورد لأن يوظفوا في اعماقهم روح الانحلال والتسيب واللامبالاة لقضية امتهم العادلة، ولتحقيق هذا الغرض فالاعداء لا يتورعون لأن يجروا لهم في مختبراتهم الشيطانية وفي اوكارهم البشعة التي كثيراً ما تجرد الانسان الضعيف من آدميته، ان يجروا لهؤلاء الاطفال عملية غسل الدماغ وقد نجحوا فعلاً في حالات كثيرة..؟؟

لذا فأن (پەشيو) يخشى عليهم من مكائد هؤلاء الاعداء ويخاف من قسوتهم السادية وان يمارسوا كل انواع القهر والتعذيب ضدهم..

وانطلاقاً من مخافته هذه فهو يرسم لهم خطة للاختباء والاختفاء عن انظار هؤلاء القساة الظالمين، عندما يبدأون بقراءة هذه الدروس لهضمها والولوج الى الحقائق التي تحتضنها بين سطورها فهو يعلمهم بأن يبتعدوا عن الانظار ولا تبدر منهم أي حركة ان كان الوقت نهاراً.. وان كان الوقت ليلاً والظلام قد اناخ بكلكله فليبقوا مصابيحهم على بصيص طفيف من الضوء الخافت حتى لا يراهم هؤلاء الجلادون، فأن جرى القبض عليهم وهم متلبسون بقراءة هذه الدروس فلسوف يكوونهم بالنار ويحرقون تلك الدروس ايضا.. لأن هؤلاء الجلادين القساة هم اعداء الحرية والفكر الحر واعداء كل من يرسم للشعب الكوردي طريق المستقبل الزاهر وسبل الخلاص من القهر والعبودية فيحذر الشاعر الاطفال من تنكيلهم وبطشهم، كيلا يعودوا ليعلقوا جسد (الحلاج) على المشنقة مرة اخرى، فهو يرمز الى الحلاج بأعتباره احد شهداء حرية الفكر في زمن العباسيين ففي ايام حكم (الخليفة المأمون) جرت محاكمته محاكمة صورية لأنه كان يصرح ببعض الآراء الحرة التي كانت تمس كرسي خلافة المأمون لذا فقد قتل وعلق جسده على المشنقة وهكذا انتهت حياته المأساوية على ايدي الجلادين..

اليك ايها القارئ العزيز اللوحة الثانية عشرة في معرض هذا الشاعر الفنان وقد ازدانت بالالوان الخلابة المعبرة، وهي اللوحة الاخيرة في هذا المعرض التي تجلب انتباه الزوار والتي تعبر بكل صراحة عن واقع الحياة الكوردية.

## الدرس الثاني عشر

ايها الاطفال..
عندما تقرؤون دروسي هذه،
وكان ألوقت نهاراً اختبئوا،
دون أن تبدر منكم أية حركة،
وأتكفئوا في زاوية بهدوء،
حتى لا يراكم فيها أحد..؟!
وإن كان ألوقت ليلاً،
والظلام أرخى سدوله،
أشعلوا مصابيحكم على الايرى،
منها غير بصيص من ضوء خافت..؟!
لأنني أعلم علم أليقين،

إن الكبار القساة أذا،
شاهدوكم وأنتم تقرؤون دروسي،
سوف يكووتكم بالنار،
ويحرقون دروسي كلها أيضاً..
ويعودون ليعلقوا على المشنقة،
جسد الحلاج مرة اخرى..؟؟!!

*  *  *

انتهت جولتنا في معرض هذا الشاعر الفنان (عبدالله پەشيو)، وقد عرضت الافكار التي تتضمنها لوحاته الاثنتا عشرة المرسومة بريشته الرائعة، وقد كتبت في حينها باللغة الكوردية البديعة وبعنوان (اثنا عشر درساً للأطفال) والتي يرجع تأريخ تأليفها حسبما اعتقد الى اكثر من عقدين من الزمان تقريباً والتي توخيت ترجمتها بأمانة وصدق حتى احافظ على جماليتها وقوتها المعبرة ووقعها المؤثر على القراء الاعزاء، فأستميحكم عذراً ايها القراء الاعزاء إن خانني البيان في بعض المقاطع من هذه الدروس واعني هذه اللوحات ولم اتمكن من إعطاء حقها كما يجب ان يكون..

**معاني الكلمات:**

١-كوردايەتى: هذه الكلمة تشير الى روح التحرر القومي للامة الكوردية.
٢-لاوك وحەيران: مقامات كوردية مشهورة في كوردستان الشمالية والجنوبية.
٣-القبج: طائر الحجل الذي يكثر في جبال كوردستان.